العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

بلاغة التراكيب وانتاج السياق
(دراسة في البيان الأعلى)

أ.م.د. مهند مرموص عبود
كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق
البريد الالكتروني: Muhannadabbod5@gmail.com

الملخص

جدلية القياس على الأصل في ضروب العربية تجعل الباحث يتجمجم لوهلة يوم يجعل المعيار أصلا ، ونظم القرآن الكريم مقيس عليه ، وهو سائغ للباحثين ، بينما كتاب الله يتفرد بسبك معجز في تراكيبه ، ولكل فيه حسبان : شعب لافت في الجمال يكمن في بلاغته ، مستفاد من جو النص وانتاج السياق ، غير آبه بقيده المعجمي ، مع أنه موافق لمباحث علم المعاني ؛ ومن هذا المفاد أطلق عنان التصور ل(بلاغة التراكيب وانتاج السياق) في أرجاء البيان الأعلى ، والخطاب الأسمى لنصوص من التنزيل.

الكلمات المفتاحية: بلاغة التراكيب، انتاج السياق، البيان الأعلى.

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

The Rhetoric of Compositions and the Production of Context (A study in the highest statement)

Asst. Prof. Dr. Muhannad Marmous Abboud
College of Arts, Al-Iraqia University, Iraq
Email: Muhannadabbod5@gmail.com

ABSTRACT

The dialectic of analogy based on the original in various types of Arabic makes the researcher freeze for a moment when he considers the standard a basis, and the compositions of the Holy Qur'an are based on it, and it is acceptable to researchers, while the Book of God is unique in miraculous casting in its compositions, and everyone has to take account of it: a people whose beauty lies in their eloquence, benefiting from the atmosphere of the text and its production.

Context, not caring about its lexical restriction, even though it agrees with the studies of semantics; From this point, the conception was unleashed for (the eloquence of compositions and the production of context) throughout the supreme statement, and the supreme discourse of the texts of the revelation.

Keywords: rhetoric of structures, context production, higher statement.

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

المقدمة

جدلية القياس على الأصل في ضروب العربية تجعل الباحث يتجمجم لوهلة يوم يجعل المعيار أصل ونظم القرآن الكريم مقيس عليه ، وهو سائغ للباحثين ، بينما كتاب الله يتفرد بسبك معجز في تراكيبه ، ولكل فيه حسبان : شعب لافت في الجمال يكمن في بلاغته ، مستفاد من جو النص وانتاج السياق ، غير آبه بقيده المعجمي ، مع أنه موافق لمباحث علم المعاني ؛ ومن هذا المفاد أطلق عنان التصور ل(بلاغة التراكيب وانتاج السياق) في أرجاء البيان الأعلى ، والخطاب الأسمى لنصوص من التنزيل ، محاولا تعليل بعض المباحث من علم المعاني والكشف عن قصديتها ، ولست مهتما بالاستقصاء ، ولا هو ميدان بحثي ، بقدر ما أدور حول بلاغة التراكيب واسهام السياق في توجيه دلالتها ، الأمر الذي يقتضي اختيار بعض هذه المباحث ،و التمثيل بنص واحد ؛ ليكون سائر الجهد في التحليل الذي سيكون منهجي في عرض المنجز ، في خضم الخبر والانشاء والفصل والوصل ، وما يتعلق بها من تقديم وتأخير وحذف وذكر ، ولا شك أن التحليل يخضع مباحث البلاغة إلى سلطة الفكر ، ويجمع شتات المعاني داخل اطار مميز ، وينأى عن المعيارية المجردة والاسراف في الاحكام والدقة في القواعد إلى التحليل الفني والذوق الأدبي

المبحث الأول : أحوال المسند إليه

الاصل في المسند إليه أن يكون من المعارف أي : النص الثابت أو المحكوم عليه ، ولا يخرج عن المعارف الست المعلومة وله أشكال تختلط أحيانا مباحثها البلاغية باللغوية ، وعليه سنخوض بالإضاءة التي نحن بصددها وهي (تأخير ما حقه أن يتقدم).

رتبة (المسند إليه) اذا كان فاعلا أن يتقدم على المتعلق به من مفعول وسواه ، وهذا باتفاق إما اذا تقدم المفعول على الفاعل في القران الكريم (فالفعل يلابس هذه المتعلقات ويتصل بها فيتحقق بهذا الاتصال أو بتركه كثير من الأغراض البلاغية ، ثم ان هذه المتعلقات يكمن وراء بنائها وتركيبها كثير من المزايا والدقائق اللطيفة)[1] والشواهد كثيرة لسنا بصددها ؛ انما أسلط الضوء على الماحة تستدعي التأمل وقد تفرد بها القران الكريم وهي : كلما جاء (الموت فاعلا) في القرآن الكريم تأخر على مفعوله ، أو تقدم مفعوله عليه ، وأستطيع أن أضع القارئ الكريم في تصور مواضع ورود هذه الظاهرة القران الكريم :

قال تعالى: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ) البقرة: ١٣٣

قال تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) البقرة: ١٨٠

قال تعالى (حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) النساء: ١٨

قال تعالى (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) النساء: ٧٨

قال تعالى : (ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) النساء: ١٠٠

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) المائدة: ١٠٦

قال تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) الأنعام: ٦١

قال تعالى : (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) إبراهيم: ١٧

قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) المؤمنون: ٩٩

(1) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية ، بسيوني عبد الفتاح 1/ 195

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4) أبريل 2025
Volume (4) April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

قال تعالى : (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) السجدة: ١١

في هذه المواضع من النصوص الشريفة حق الفاعل (الموت) أن يتقدم على مفعوله وهو ألأصل في البناء والتركيب ؛ بيد ان بلاغة التركيب تقتضي تقديم المفعول لمقصد بلاغي يسهم السياق في انتاجه وهو أن الموت عندما يحل يكون عمل ابن آدم قد انقطع ؛ لذلك تقدم المفعول وهو (أحدكم ، الضمير من يأتيه ، أحدهم) بينما تلوح كتب البلاغة على اسباب تقديم المفعول ونحوه من المعمولات كالجار والمجرور والظرف والمصدر والحال على العامل وعندهم يتلخص هذا التقديم غالبا ب (الاختصاص) أي قصر العامل المؤخر على معموله المقدم ، ثم تحوم كتب البلاغة حول قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) أي : نخصك في العبادة ونخصك بالاستعانة ، فتقديم المفعول في الموضعين قد أفاد القصر ، والذي اراه أن بلاغة التركيب القراني أوسع من قاعدة وأعظم من معيار في النصوص الشريفة التي سيقت ؛ فهي بماهية واحدة من جهتين :

1- تقديم المفعول على الفاعل : كل النصوص الواردة تقدم المفعول فيها على الفاعل

2- فاعل هو (الموت) في جميع النصوص ، ولا يوجد في القران الكريم فاعل بهذا الصدد جاء برتبته النحوية إلا متأخرا لفظا .

وتختلف ماهيتها وفقا لاختلاف العامل ودلالاته ، فالفعل قد تنوع (يدرك ، حضر ، أتى) كما تختلف المتعلقات باختلاف انتاج السياق . فقد يكون الغرض من تقديم المعمول هو أن تأخيره يخل بالمعنى ويوهم خلاف المراد يقول ابن عطية فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئا[2] ؛ علما أن الحضور غالبا ما يكون متوقع عندها يكون المؤمن هيأ نفسه وهو على علم أن الموت سيحضر ذات يوم خلاف هؤلاء المعاندين الذين يدركهم الموت ، وكأنهم فارون منه ، لذلك أستطيع القول أن القصد من تقديم ما حقه التأخر ينشعب باعتبار المقصد على:

1- دفع توهم خلاف المراد في النصوص المبنية على المجاز العقلي من (حضر) فالفاعل في التركيبة النحوية فحسب ، لا بالمعنى

2- التبكيت والتوبيخ : في النصوص المتشكلة بطريقة التخييل الحسي الذي يصور لنا ان المعاندين محاصرون من الموت في ألفاظ موحية بالمعنى وهي (يدرككم).

المبحث الثاني : الذكر والحذف

أولا : حذف المفعول به : وحذف المفعول به أسراره دقيقة ولطائفه كثيرة يظهر لحذفه في القرآن الكريم من الحسن والجمال ما هو آخاذ ، كما يرى السكاكي أن المزايا فيه أخلب [3] ، ويكفينا - لضيق مساحة البحث - من هذا البستان مثالا على بلاغة التركيب نميط اللثام عن جماله وندل القارئ على أحواله .

قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ) الليل: ٥

الفعل الذي يتجرد عن مفعوله يتسع مدلوله من نطاق حدود المفعول إلى نطاق عام ومدلول أو سع كما في النص الكريم ، فالفعل أعطى يأخذ مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر كقولك (أعطيت زيدا جبة) وقوله تعالى (أعطى) لم يذكر المفعولين حتى لا يصبح المعنى محددا ضيقا ، فلو حددنا مفعولين للفعل من العطاء لحرمنا آخرين ممن لا يمكنهم ، فمن الناس من يعطي مالا وآخر علما ، وحسن خلق ، وحسن جوار ، وبر الوالدين ، وتفريج كربة ، وعتق رقبة ، وتستطيع أن تعد من العطاء ولا يسعنا عده ، بينما لو حددنا مفعولين لتوقفنا عندهما وحجرنا واسعا ، وكذلك حذف المفعول يوفر الكلام على اثبات الفعل [4] وأهميته مهما كان المفعول كبيرا أم صغيرا فالعطاء وقبوله متعلق بصدق المعطي لا بثمن العطية وقريب من هذا التصور قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا

(2) = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 214)
(3) ينظر : مفتاح العلوم ، السكاكي 110
(4) ينظر : علم المعاني ، عبد الحفيظ حسن 124

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر: ٩

فلو قدرنا مفعولا ل(يعلمون) لاخترنا مفعولا واحدا فقط وفقا لمعيارية التركيب وعندئذ تتحدد الدلالة وتضيق ؛ علما اننا في الحذف يمكننا أن نقدر (يعلمون : علوم الدين – علوم الدنيا – علوم الطب – علوم الفلك) وعليه أسهم الحذف في ضم جميع هذه الدلالات وقد ساعد السياق في انتاجها .

ولم يكن هذا الجمال خافيا على الجرجاني إنما مثل له شعرا بقول البحتري من الخفيف :

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

والشاهد في قوله يرى مبصر ويسمع واع ؛ إذ حذف المفعول ، فيعامل الفعل المتعدي معاملة اللازم ، ويصبح المعنى : إن محاسن الخليفة المعتز وفضائله يكفي فيها أن يقع عليها بصر ، ويعيها سمع ، فيعلم أنه مستحق للخلافة ، حتى ان حساده يتمنون ألا يكون في الدنيا مبصر، ولا سامع يعي كي يخفى استحقاقه لشرف الامارة [5].

ثانيا : حذف يا النداء

أشاد البلاغيون بفن الحذف ، فهو فن عظيم من فنون القول ، فقعدوا له القواعد واشترطوا له الشروط ، وبينوا له المزايا ؛ لأنه مسلك دقيق في التعبير أداء المقصد ، ترى به ترك الترك أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد بالإفادة ، فتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم بيانا إذا لم تبن [6] أما شروط الحذف فهي :

1- لا يصار إلى الحذف إلا إذا بقية قرينة تدل على المحذوف ، والقصد من ذلك كي لا يصبح الخطاب ضربا من الغموض والتعمية ؛ لأن وضوح القصد وجودة الأسلوب شرطا في الفصاحة وخلاف ذلك عيب من عيوب الكلام

2- أن يترجح الحذف على الذكر ، فيكون أدل على فخامة المعنى وسعة التصور ، فيكمن وراء الحذف سر جمالي ومظهر خلاب ينتجه السياق عطفا على مقتضى الحال ، فالألفاظ أوعية المعاني لا بد من ملاحظتها مذكورة أو محذوفة [7] ، وعناية البلاغيين تركز في فن الحذف لأن اللطائف فيه أكثر وأعجب [8] ومظاهر الحذف في القرآن الكريم كثيرة جدا نوجه عنايتنا إلى حيز منها إلا وهو (ياء النداء).

حذف حرف النداء في القرآن الكريم شائع ومطرد مع انه لم يأت حرف نداء آخر ينوب عن (الياء) وربما لأن العلماء قد صرحوا على أن أداة النداء اذا حذفت وجب تقدير الياء لأنها أم الباب [9] . وقد التزم القرآن الكريم حذف ياء النداء مع (رب) خاصة في كل موضع وردت فيه إلا في موضعين :

قال تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) الفرقان: ٣٠

قال تعالى: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ) الزخرف: ٨٨

وجانب الصواب بعض الباحثين بقولهم (وعلى كثرة ما نودي الرب في القرآن لم أعثر عليه مسبوقا بحرف بحرف النداء)[10] والصواب ما ذكرناه من الموضعين .

أما في بقية المواضع فهي محذوفة لسر جمالي وقصد بلاغي مفاده المبالغة في تصوير قرب المنادى (رب) فهو السيد والمربي والمالك والقريب والحاضر الذي لا يحتاج العبد في ندائه إلى واسطة ، ولو كانت حرف نداء [11].

ويمكن اضافة سر آخر لحذف الياء مع (رب) في أكثر استعمالا من غيرها في الدعاء ، وحذفها أسهل في مجرى الحديث ، وأطوع في اللسان [12]

(5) ينظر : دلائل الاعجاز ، الجرجاني 156
(6) ينظر : اعجاز القران ، الجرجاني 7
(7) ينظر : المطول ، التفتازاني 68
(8) ينظر : المثل السائر ، ابن الاثير 2 / 304
(9) ينظر :مغني اللبيب ، ابن هشام
(10) من بلاغة القران ، احمد بدوي 169
(11) من بلاغة القران 169
(12) ينظر : خصائص التعبير القرآني ، عبد العظيم المطعني 2/ 8

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

وزيادة على ما ذكر من أسار الحذف غي هذا المضمار أود الاشارة إلى خصوصية الخطاب بين العبد وربه تقتضي شيء من السرية وخفض الصوت و(الياء) في دلالتها الصوتية تشير إلى رفع الصوت بداعي وجود الألف فاقتضى المقام رفع الياء للحفاظ على هذه الخصوصية .

وعلى هامش ما بينت على لسان العزيز مناديا يوسف عليه السلام بلا ياء (يوسف أعرض عن هذا) [13] ؛ لأن الامر فيه فضيحة وأرد رب القصر أن لا يسمعه أحد فحذف ياء النداء واستغنى بذكر المنادى فقط .

المبحث الثالث: ايجاز التكامل

الدارس لعلم البلاغة يدرك ضربين للإيجاز وهما : إيجاز الحذف وإيجاز القصر ، أما ايجاز التكامل فهو فن يدور حول الاستغناء في الأداء القرآني بتعبيرات مختلفة موزعة على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني في القرآن الكريم [14] ، والتكامل في القرآن الكريم أسلوب تخصيص كل من الأشباه والنظائر في النص بتعبير يصلح اطراده ، وبتوزيع التعبيرات ذوات الدلالات المختلفة يحصل الاستغناء عن اعادة كل شبيه ونظير . ولهذا الاسلوب جملة فوائد منها : ايجاز متكامل مستدعي مسرة لنباهة الحاذق ، وتخلص من التكرار في طرق أداء المعنى ، وقد يدل على قصديته بدء النص أو ختامه ، يلاحظ دقة وبراعة التعبير الأكثر ملاءمة للشبيه الذي يقرن به ، مع امكانية التعبيرات الأخرى له .

مضمار التطبيق

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) الحجرات: ١١ - ١٢

في النص الشريف نهي عن الفعل القبيح الذي من شأنه أن يورث الفرقة والعداوة ، وهي من ظلم بني البشر لبعضهم وهي على التفصل كما هو آت :

(السخرية ، اللمز ، التنابز بالألقاب ، ظن السوء ، التجسس، الغيبة)

وهذه القبائح متشابهة إلى حدما مع ان كل نهي في هذا النص انفر بلون تعبيري مستقل ، وفي الوقت نفسه قابل لأن يكون شاملا لسائر المنهيات :

1- السخرية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ)

2- اللمز: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ)

3- التنابز: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)

4- ظن السوء : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ)

5- التجسس : (وَلَا تَجَسَّسُوا)

6- الغيبة : (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)

الملاحظ أن كل استعمال يصح معه التعبيرات الأخرى ؛ فيقال مثلا في السخرية :

(لا تسخروا من أنفسكم – ولا تتساخروا – وتجنبوا السخرية – ولا يسخر بعضكم من بعض)

يقال في اللمز : (لا يلمز قوم قوما ولا نساء من نساء – واجتنبوا اللمز – ولا يلمز بعضكم بعضا) .

(13) ينظر : سورة يوسف 29

(14) قواعد التدبر الأمثل : عبد الرحمن حبنكة الميداني 515

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

وبهذا العرض نلتمس بلاغة التركيب مع دلالة السياق في التكامل الجمالي الذي يغني أسلوبه عن التكرار ومع هذا فإن دقة الاختيار حاضرة لتبرز الصورة الأمثل للتعبير بإبداع فني وفكري . فالسخرية تغلب فيها المشاركة الجماعية ؛ فلا يسخر الساخر بمفرده ، إنما يشاركه آخرون وعليه لائم فعل الجماعة قوله (قوم من قوم) ، ثم أفرد الرجال عن النساء ؛ لأن السخرية تكون بين الرجال في مجالسهم ، أو تكون بين النساء في مجالسهن . ولو قال قائل (قوم) تشمل الرجال والنساء لغة ، نقول هذا اطناب من عطف الخاص على العام ؛ لتسليط الضوء على الخاص ، فمجالس النساء تكثر فيها السخرية .

واللمز يقابلها التخفي لا يدركه إلا الحاذق الفطن ، قد يخفى على من جالسك وأنت تلمزه ، فناسبه قوله (لا تلمزوا أنفسكم) .

أما النبز فقد يكون بين المتنابزين بالألقاب فجاءت ألف المشاركة التي تتوسط الفعل بقوله (ولا تنابزوا) .

كما ان أفضل وسيلة لترك الظن هي تجنب كثير من الظن ؛ لأن من جرى وراء ظنونه أوصلته إلى ما يأثم به حتما .

أما التجسس فهي صفة قبيحة تنماز بالفردية ، فلا يكون التجسس من جماعة على جماعة ؛ انما يغلب على هذه الصفة العمل الفردي ، فاختير لها صيغة النهي العام ليكون اسلوب التعبير (ولا تجسسوا).

بقي اسلوب الخطاب بالتبعيض الذي ناسب الغيبة ، إذ فيها مغتاب ومستمع وحاضر فقال : (ولا يغتب بعضكم بعضا) [15]

المبحث الرابع: الفصل والوصل (واو الثمانية)

الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل ترك هذا العطف [16]. وقد عد الفارسي معرفة الفصل من الوصل هو البلاغة ، وقال بعضهم جعل الفصل وصلا أشد وأعجب من اللحن [17] . وقد اهتم البلاغيون بالفصل والوصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب [18]وسبب الاهتمام بهذه الجمل ؛ أن الوصل وتركه لا يتوقف على التشريك في الاعراب فقط ، انما يتم لاعتبارات ترجع إلى المعنى ومدى ترابطها أو تباعدها ، وإلى طرق الصياغة في التماثل والتباعد ، ومن هنا كانت دقة هذا الفن وخصوصيته في القران الكريم ، وما يهمنا في هذا المبحث هو الوصل بالواو في مواضع من القران الكريم وجدلية توصيف الواو الرابطة بين الجمل ؛ إذ بعضهم ادعى أن مهمتها ليس الربط فقط ، فهي محكومة بالعدد ثمانية واستدلوا بنصوص من القرآن الكريم جاءت بها الواو عندما نصل في التعداد إلى الثمانية . والقياس قائم على سياق المقابلة بينها وبين ما يناسبها من النصوص الشريفة .

ومنها لم تذكر في سياق أهل النار بدعوى أن أبواب النار سبعة ؛ بينما ذكرت في ذكر أهل الجنة ؛ لأن أبواب الجنة ثمانية :

قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) الزمر: ٧١

فقوله تعالى (فتحت أبوابها) بلا واو يستلفت النظر بالمقابلة مع الآية التي تليها :

(15) ينظر : قواعد التدبر الأمثل ، 518
(16) ينظر لسان العرب : ابن منظور مادة (فصل) 11/ 791
(17) ينظر : الايضاح في علوم البلاغة ، القزويني 86
(18) ينظر علم المعاني ، عبد الحفيظ حسن 213

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

قال تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) الزمر: ٧٣

الواو محذوفة في الموضع الأول . مذكورة في الموضع الثاني ، وهذا الفصل والوصل في سياق متماثل له أثره في الإعراب والمعنى نلخصه بما هو آت :

حذف الواو في الموضع الأول عند ذكر النار جوابا ل (إذا) أو جوابا للشرط . والذكر في سياق اهل الجنة جعل ما بعدها ليس جوابا للشرط ، ولوح بأن الجزاء محذوف ، ولأنه صفة ثواب أهل الجنة دل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف .

ومن ناحية المعنى دل الحذف في الأولى على ان أبواب جهنم فتحت حين جاءوها ، لأن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان و(فتحت) جوابها ، والذكر في الثانية دل على أن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل أن يأتوها .

وثمة الماحة تتعلق بالوصل وتركه وعلاقته بالمعنى وهي : لما كانت جهنم سجنا ، من شأن السجن أبوابه مؤصدة ويحيطه حراس غلاظ شداد ناسبها ترك الوصل لأن السجن لا تفتح أبوابه إلا بتوقيت معين . أما الجنة فهي دار ضيافة مفتوحة أبوابها على الدوام .

وفي الحقيقة ثمة مواضع تشبه الى حد هذا الموضع أذكر منها :

قوله تعالى : (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) التوبة: ١١٢

سيقت هذه الصفات بمجملها بلا وصل بالواو حتى إذا وصلت إلى الناهون عن المنكر وجدت (الواو) وتعدادها ثمانية ، وقد رد ابن النير على من يقول أنها واو الثمانية وناقش أدلته ، فهو يرى الداعي من وجودها فالواو في (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ) للربط بين الصفتين المتعاطفتين ويعضد هذه القناعة بنصوص من القران الكريم تصاحب فيها الواو هاتين الصفتين في جميع استعمالاتها:

قال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لقمان: ١٧

قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التوبة: ٧١

يقول ابن المنير : (فقد أوضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة لغير ما زعمه هؤلاء)[19].

وهي كما دخلت على (الناهون) دخلت على (الحافظون) وهي التاسعة ، فإذا قسنا على ما سبق هل يحق لنا أن نسميها واو التاسعة ؟ . وإذا لم نستطع فما الفرق بين الواوين ؟

ويوجه الزمخشري هذا الادعاء بقوله (إن هذه الواو هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة . وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، وإن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هي التي آذنت الذين قالوا : (سبعة وثامنهم كلبهم)قالوا عن ثبات علم ، وطمأنينة نفس ، ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم)[20].

المبحث الخامس: الخبر والانشاء (ذكر الجواب دون السؤال)

هذا المبحث يدور حول المعاني التي تستفاد لزوما ويقتضيها النص ومنها :

سؤال ذكر جوابه دون أن يذكر ، وجواب ذكر سؤاله دون أن يذكر وكل هذه المواربات يستدعيها اللزوم العقلي في الوقت الذي يسكت فيه النص وينطق فيه التوازن والتكامل . ومن أجل تصور أولي تأمل في قوله تعالى :

(19) على هامش الكشاف ، ابن المنير 2 / 557
(20) الكشاف ، الزمخشري 2/ 557

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) الأعراف: ١٦٠

أي : فضرب موسى بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا

وتمثيل أوسع يتضمن أشكالا من الموارية في قوله تعالى: (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) الرعد: ١٦

في هذا النص بعد عمق في التأمل وتأن في التفكر يلزم ذهنا أن يقتضي النص مجموعة من التصورات :

1- ذكر الملزوم دليل على لازمه مع ارادتهما معا

2- ذكر السبب دليل على سببه

3- ذكر النتيجة دليل على المقدمة

4 – دليل العاقبة دليل على مقتضاها [21].

التطبيق:

أولا : سمى الله تعالى القرآن الكريم ذكرا ، اعتبارا بالمطلوب بالنسبة إليه بعد العلم بما جاء فيه . فبوصفه بأنه ذكر للعامين . من الواجب علينا أن نفهمه أولا ، ثم نذكر ما فيه ، وهذا ما يقتضيه النص .

وفي قوله تعالى : (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) الشرح: ٧

يلزم ذهنيا أنك إذا فرغت من عمل فاعمل في طاعة الله عملا آخر حتى تصل إلى النصب أي التعب الشديد ، فاكتفى النص بذكر المسبب عن ذكر سببه .

الخاتمة

على جناح السرعة والاقتضاب بالتمثيل والتنظير طويت صحائف البحث في بلاغة التراكيب وانتاج السياق في القران الكريم ؛ لأخلص إلى نتائج أرى أنها من حق القارئ الكريم أن تبرز له بإيجاز:

1- بلاغة التركيب في القران الكريم ينتجها السياق الخاص بالنص ، وليس بالضرورة أن يتحكم المعجم في توجيهها دلاليا

2- خروج البناء التركيبي عن سياقات العرف العربي يتضمن قصدين :

منها اعجاز العرب بلغتهم ؛ بعدما بلغوا الذروة في البيان. والقصد الآخر هو المعاني الخفية وراء خرق المألوف ، سواء أكانت عقدية أم تربوية كما بينا في البحث .

3- يعطي اختلاف التراكيب الأهمية بالتساوي في دائرة الاسناد والمتعلقات ؛ فالمعنى الخفي يساوي المعنى الجلي، وحرف الجر يساوي المسند أو المسند إليه ، وكل بحسب انتاج السياق له .

(21) ينظر : قواعد التدبر الأمثل 244

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (4)
أبريل 2025
Volume (4)
April 2025
ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف ، ابن المنير ، مكتبة مصطفى الحلبي – مصر 1966 م .
2. الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، دار احياء العلوم – بيروت ط1 1988 م .
3. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة – القاهرة ط1 1992 م .
4. دلائل الاعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني – القاهرة .
5. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - ط1 القاهرة ، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع- الاحساء 1998 م .
6. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ط6 2020 م .
7. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله الزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت ط3 1407
8. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر – بيروت ، ط3 1414 .
9. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تح : احمد الحوفي – بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة .
10. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت .
11. المطول شرح تلخيص المفتاح ، التفتازاني ،تح : عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية – بيروت .
12. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري ، تح : مازن مبارك – محمد علي ،دار الفكر – دمشق .
13. مفتاح العلوم ، ابو يعقوب السكاكي ، تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت .
14. من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، نهضة مصر ، القاهرة 2005 .

DOI: https://doi.org/10.33193/AJHASS.11